الفصل السادس

نساء غيرن مجرى التاريخ

وهذه بعض النماذج من نساء مؤمنات صادقات استطعن أن يصنعن مجتمعات وتكن لهن قدماً راسخة فى صفحات التاريخ، نافس الرجال بل وتفوقن على الغالبية العظمى منهم فى صناعة المجتمعات بل وتغيير مجرى التاريخ من مسار إلى مسار.

نساء بدأن طريق الإصلاح، ووضعن أول لبنة فى مجتمعاتهن فمنهن من ماتت فى أول الطريق ولم تصل إلى آخره ولم تجنى ثمرة ما بدأت، ومنهن من جنت ثمار ما بدأت، ولكن شأن العظيمات دائماً ليس أن يصلن إلى نهاية الطريق، أو أن يجنين ثمرة جهدهن فى الدنيا، لأنهن يعلم يقيناً أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فإن لم ترى ثمرة جهدها فى الدنيا فحتما ستراها فى الآخرة؛

وإنما شئنها وهمها وشغلها الشاغل هو أن تكون على الطريق فلا يضرها أن تموت فى أوله أو منتصفه أو آخره، فليست الغاية أن تصل، ولكن الغاية أن تموت وهى على الطريق.

وسنتناول هذا الفصل فى سبعة مباحث:

المبحث الأول: آسية بنت مزاحم

المبحث الثاني: خديجة بنت خويلد

المبحث الثالث: عائشة بنت أبي بكر

المبحث الرابع: نسيبة بنت كعب

المبحث الخامس: فاطمة الفهرية

المبحث السادس: أم السعد

المبحث السابع: المصرية صانعة مجتمعات بفطرتها.

المبحث الأول:

آسية بنت مزاحم

قال تعالى "**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**" (التحريم: ١١)

حلقات وحلقات فى سلسلة تكريم الإسلام للمرأة، ففى كتاب الله سورة باسم (النساء)، وسورة باسم امرأة (مريم)، وآيات نزلت فى مخدع امرأة (عائشة)، وآيات تنزل لتبرأها، وقرآن ينزل ليزوج امرأة، وعشرات الآيات التى تبين حقوقها وواجباتها.

فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للرجال

فها هى امرأة كرمها الله وخلد ذكرها فى آية تتلى إلى قيام الساعة ضرب الله بإيمانها المثل، إنها آسية امرأة فرعون، السراج الذى أضاء فى ظلمات القصر، آسية التى غزا الإيمان قلبها، وملك عليها أمرها، يرتفع قدر هذه المرأة أضعافاً وتعلو مكانتها علواً وتعرف قدر إسهامها فى صناعة مجتمعها بمجرد أن يقع طرف البصر على الآية التى تليها، حيث إفرادها بالذكر مع مريم ابنة عمران، وهما الإثنتان نموذجان للمرأة المتطهرة المؤمنة المصدقة القانتة القادرة على التأثير فى مجتمعها، يضربهما الله لأزواج النبى (ﷺ) بمناسبة الحادث الذى نزلت فيه آيات صدر السورة، ويضربهما مثلاً للمؤمنات من بعد فى كل جيل.

"**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا**" وضرب الله مثلاً لحال المؤمنين، بحال زوجة فرعون، التى كانت فى عصمة أشد الكافرين بالله، وهى مؤمنة بالله " **إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ**"، رب ابنى لى دار عندك

فى الجنة، فطلبت كون البيت عنده سبحانه، قبل طلبها أن يكون فى الجنة فإن الجار قبل الدار؛ "**وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ**"، خلصنى من طغيان فرعون وتعذيبه وعمله الشنيع "**وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**" وخلصنى من القوم التابعين له فى الظلم والضلال، ومن عذابهم.

فحث الله المؤمنين على الصبر فى الشدة، كصبر آسية على أذى فرعون، يا سبحان الله، امرأة يأمر الله المؤمنين رجالاً ونساءاً أن يحذو حذوها، فمن أى طراز كانت هذه المرأة؟

كان فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ، فى قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه المرأة ما تشتهى، ولكنها استعلت على هذا كله بالإيمان، ولم تعرض عن هذا الثراء وهذه المتعة فحسب، بل اعتبرته شراً ودنساً وبلاءً تستعيذ بالله منه وتتفلت من عقابيله، وتطلب النجاة منه.

هى امرأة واحدة فى مملكة عريضة قوية، الأنهار تجرى من تحتها ولها ملك أعظم دولة فى ذلك الوقت؛ والمرأة من طبيعتها تكون أشد شعوراً وحساسية بوطأة المجتمع وتصوراته، ولكن هذه المرأة وحدها فى وسط ضغط المجتمع، وضغط القصر، وضغط الملك، وضغط الحاشية والمقام الملوكى، وفى وسط هذا كله رفعت رأسها إلى السماء وحدها فى خضم هذا الكفر الطاغى.

إنها بحق نموذج عال فى التجرد لله من كل هذه المؤثرات، وكل هذه الأواصر، وكل هذه المعوقات، وكل هذه الهواتف. تحدت آسية زوجها، وشمخت بإيمانها، ولم تفتنها الدنيا ومباهجها.

ادخلى قصرها وانظرى، إذا بقصر يبهر العقول كأن الجمال يصول بين جنباته ويجول، نمارق مصفوفة، وسرر مرفوعة، وجدران مزخرفة، وفجأة ننظر فى ذلك القصر بداخله امرأة مربوطة تساق إلى خشبة

الجلاد انظرى إليها ... دققى ... هى ليست بخادمة ولا سارقة وإنما هذه المربوطة هى الملكة!

الملكة؟!

نعم هى هى صاحبة هذا القصر بعينها.

هذه المربوطة كانت إذا تحركت فى القصر وقفت لها أنفاس الخدم، كانت إذا أشارت بيدها تسابقت لها الأيادى بما تشتهى من النعم، أجمل قصر على الأرض هو قصرها، وأعلى حلى فى الوجود حليها.

لكنها تساءلت: هذا النعيم الذى أرفل فيه إلى متى سيدوم؟ فطرقت مسامعها إجابات صريحة، قد يدوم مائة سنة مائتين ألف ..!! فهو إلى زوال.

عرفت أن عليها عبء صناعة مجتمعها ومقاومة منكراته فكرت بقصر لا ينتهى بزمن، فكرت فى حلل لا تبلى وحلى لا تتغير ولا تصدأ، فكرت فى ملك لا ينتهى ولا يبلى ولا يفنى.

فلما لاح لها الهدف تقدمت إليه لتضع أول لبنة فى قواعد مجتمعها، تقدمت تقدم الواضح الذى لا يقف ولو أدمى قلبه.

هددوها بزوال قصرها وملكها، فتذكرت أن قصرها الذى فى السماء هو الأبقى.

أغروها بكل السبل والوسائل التى يسقط عندها ضعاف النفوس، ولكن هيهات لمن عرض لها الذهب أن تغريها باللعب.

أمر فرعون بها فمدت بين يديه على لوح، ربطت يداها وقدماها فى أوتاد من حديد، وأمر بضربها فضربت، حتى بدأت الدماء تسيل من جسدها، واللحم ينسلخ من عظامها، فلما اشتد عليها العذاب وعاينت الموت

رفعت بصرها إلى السماء وقالت " **رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**".

وارتفعت دعواتها إلى السماء، فكشف الله لها عن بيتها فى الجنة فتبسمت ثم ماتت.

ماتت الملكة التى كانت بين طيب وبخور، وفرح وسرور، تركت فساتينها وعطورها، وخدمها وصديقاتها، وأختارت الموت، لكنها اليوم تتقلب فى النعيم كيفما شاءت.

ولماذا لا يكون جزائها كذلك، وهى التى تحدت الطغيان وأثرت لقاء الرحمن وكانت سبباً فى نجاة موسى عليه السلام من بطش الكهان، وكانت حجر أساس فى قاعدة مجتمعها حتى أمر الله المؤمنين والمؤمنات أن يقتفوا أثرها، وخلد رسول الله (ﷺ) ذكرها، فلله درك يا آسية فها أنت على درب الخلود سائره، ولم لا؟ وقد مدحك أعظم الخلق، ذُكِرتِ على لسان أفصح الخلق، فتارة يشهد لك بتمام فضلك وكمال عقلك، وتارة يروى مشهد عذابك وملحمة صبرك وثباتك.

قال رسول الله (ﷺ) "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران ..." [٤٧].

وقال (ﷺ) "حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطنة ابنة محمد، وآسية امرأة فرعون"[٤٨].

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: خط الرسول فى الأرض أربعة خطوط، قال "تدرون ما هذا؟" فقالوا الله ورسوله أعلم، فقال رسول

---

(٤٧)صحيح البخارى (٣٤١١)، مسلم (٢٤٣١).

(٤٨)رواه أحمد والترمذى.

الله "أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران"[٤٩].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه: أن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة فقالت "**رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**" فكشف لها عن بيتها فى الجنة"[٥٠].

وفى رواية عن سلمان قال "كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، فكانت ترى بيتها فى الجنة"[٥١].

وفى رواية: عن ثابت عن أبى رافع قال "وتدّ فرعون لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على بطنها رحى عظيمة حتى ماتت"[٥٢]. فحق لها أن يخلد ذكرها فى كتاب الله، وسنة نبيه.

ما أرجح عقلك، ما أكمله حين آثرت الباقية على الفانية، وكأنك فى آتون المعاناة المريرة، والمأساة المريعة ترددين بلسان الحال، الدنيا ظل غمام، وحلم نيام، ومن عرفها ثم طلبها فقد أخطأ الطريق، وحرم التوفيق، والآخرة يقظة وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، قد أبت على نفسى إلا أن أدخل الجنة فبعت لله نفسى والله اشترى. ابشرى فقد ربح البيع.

---

(٤٩)رواه أحمد والحاكم.

(٥٠)رواه أبو يعلى فى مسنده وقال الألبانى "وهو فى حكم المرفوع".

(٥١)رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

(٥٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان.

المبحث الثاني:

السيدة خديجة بنت خويلد

المرأة التي سلم عليها الله، وكفى بها منقبة؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أتي جبريل النبي (ﷺ) فقال يارسول الله: هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب – يعني لؤلؤ مجوف واسع – لاصخب – علو الصوت – فيه ولانصب – تعب"[٥٣]

أجمع أهل التفسير أن السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كانت امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشئ تجعله لهم منه وكانت قريش تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله (ﷺ) صدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ماكانت تعطي غيره مع غلامها ميسرة، فأجابها رسول الله (ﷺ) إلى طلبها.

خرج معه ميسرة حتى قدما الشام فنزل رسول الله (ﷺ) في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب، فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة وقال: من هذا؟ فقال ميسرة: هذا رجل من قريش، فقال الراهب: مانزل تحت هذه الشجرة إلا نبي؛ ثم باع رسول الله (ﷺ) واشترى وعاد فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة، يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعير، فلما قدم مكة ربحت خديجة ربحاً كثيراً، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وما رأى من إظلال الملكين إياه ﷺ.

---

(٥٣)صحيح مسلم (٢٤٣٢)

وكانت خديجة رضي الله عنها امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما أراد الله من كرامتها، فارسلت إلى رسول الله (ﷺ) وعرضت عليه نفسها، وكانت من أوسط النساء في قريش نسباً، وأكثرهن مالاً وشرفاً، وكل رجل من قومها كان حريصاً على الزواج منها لو قدر عليه.

فلما أرسلت إلى النبي (ﷺ) أخبر أعمامه، وخرج معه عمه عبد المطلب وحمزة وغيرهما من عمومته، حتى دخلوا على خويلد بن أسد فخطبها إليه، فتزوجها فولدت له أولاده كلهم ماعدا إبراهيم.

لقد كانت رضوان الله عليها أكبر مساعد للرسول (ﷺ) وأعظم عون على نشر دعوته، أنفقت مالها في سبيل نصرة الإسلام، لأنها علمت بعقلها وحكمتها أن مجتمعها بحاجة إلى تصحيح المسار، وأنها قادرة على ذلك فكانت أول من آمن بالله ورسوله، وصدقه فيما جاء به عن ربه، وأزره على أمره.

فكان النبي (ﷺ) لايسمع من المشركين شيئاً يكرهه- من رد عليه أو تكذيب له أو استهزاء به- إلا فرج الله عنه بخديجة التي كانت تثبته على دعوته، وتخفف عنه، وتهون عليه مايلقى من قومه من المعارضة والأذى.

لقد كان في الرسول الأعظم (ﷺ) ميل إلى التفكير والاستغراق، ونزوع إلى الخلاء والتأمل منذ صباه، فكان يذهب إلى غار حراء، يقضي نهاره في التأمل والتفكر والتدبر، ويقضي ليله في التعبد والتبتل والتضرع، يقضي الساعات بل الأيام في هذا الغار، وهنا تتجلى شخصية السيدة خديجة، ويتجلى ماكان لها من تأثير بالغ على حياة النبي (ﷺ)، فنراها في وقارها، وجلال سنها ونضوجها لاتتأفف أو تضيق بهذه الخلوات التي كانت تبعد عنها زوجها الحبيب، وعن أولادها، وبيتها وما خطر لها أن

تعاتبه أو تتذمر من هجره لها الليالي الطوال، وماحاولت أن تعكر عليه صفاءه كما نعهد من فضول النساء التي تستأثر بالرجل وتغار عليه، ولكن السيدة خديجة كانت على عكس ذلك، فقد حاولت ماوسعها الجهد أن توفر له الهدوء والاستقرار، وأحاطته بالرعاية التامة مدة إقامته في البيت، وعندما يذهب إلى غار حراء كانت ترسل من يحرسه ويرعاه ولايعكر عليه صفو خلوته؛ لقد قامت السيدة خديجة بموافقة عظيمة دلت على رجاحة عقلها وجرأتها في مواجهة التحديات، وعلمت بدورها ومايتوجب عليها من تعديل مسار مجتمعها بقدر استطاعتها، فرأيناها وهي تدثره وتزمله، وتقف معه مؤيدة داعمة، وعندما أدرك عظم الأمر وثقل الوحي وجاءها يشكو إليها قالت تلك العبارة التي سطرها التاريخ بأحرف من نور "كلا والله لن يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق".[٥٤] أبشر يا ابن عم واثبت، ثم نرى المواقف العظيمة التي وقفتها عندما جاء الملك وأخذ يتحدث إلى رسول الله (ﷺ)، وعندما قال لها الرسول (ﷺ) "ياخديجة إنه يأتيني آت ويقصد بذلك جبريل فقالت له وهي تريد أن تعرف حقيقة الوحي- إذا جاءك أخبرني- فقال لها يوماً "هاهو ذا يا خديجة قد أتى" وهنا تظهر رجاحة عقل هذه السيدة وفهمها حيث قالت للرسول (ﷺ): إجلس على شقي الأيمن، فجلس على شقها الأيمن، فقالت له هل تراه؟ قال "نعم" فقالت اجلس على شقي الأيسر، فجلس فقالت هل تراه الآن؟ قال "نعم" فقالت له: اجلس في حجري، فتحول وجلس في حجرها، فالت له: أتراه الآن؟ قال "نعم"

(٥٤) صحيح البخاري (٣)، مسلم (١٦٠).

فرفعت خمارها عن رأسها وبقيت حاسرة الرأس وقالت له: هل تراه الآن؟ قال "لا" فقالت قولتها المشهور: يامحمد ما هذا شيطان هذا ملك من ملائكة الرحمن".[٥٥]

قالت رضي الله عنها ذلك بفقه لأن الملك غادر المكان عندما كشفت رأسها، وأدركت أن هذا التصرف لايتصرفه شيطان، بل هو ملك من الملائكة، وهذا وأيم الله فقه وأي فقه.

ثم تصرفت تصرفاً لايتصرفه إلا العقلاء عندما أخذت سيدنا محمداً إلى ورقة بن نوفل الذي قال النبي (ﷺ) بعدما أخبره بما جرى معه في الغار: هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى، ياليتني فيها جزعاً- يعني شاباً- إذ يخرجك قومك..." [٥٦] إلى آخر الحديث فخديجة رضي الله عنها لم تكن امرأة عادية وإنما كانت راجحة العقل سليمة الفطرة، نقية السريرة شجاعة كريمة وموفقة بتوفيق الله.

وما يدل على ذلك ماحدث يوم تنادت قريش بعزل النبي (ﷺ) وحصاره مع أهله بني هاشم وبني المطلب، والتضييق عليهم في شعب أبي طالب، ومنع الطعام وكل مقومات الحياة عنهم.

فلم ترضى هذه المرأة العظيمة أن تبقى في دارها تنعم برغد العيش مع أنها ليست معنية بهذه المقاطعة، لقد كان ذلك بيدها لو أرادت ولها في عشيرتها بني أسد قوة ومنعه، ولكنها أثرت أن تلحق بزوجها الحبيب، ولم يمنعها سنها وهي تخطو نحو الستين من عمرها من متابعة بناء وصناعة مجتمعها، وهي التي كانت بحاجة إلى الراحة وإلى من يعتني بها،

---

(٥٥) سير أعلام النبلاء.

(٥٦) صحيح: البخاري.

ولقد أثر موقفها هذا في رجال عشيرتها، وكيف يرضون أن تجوع وتحرم تلك المرأة العظيمة التي كانت تغدق على بيوتات عشيرتها من البر والخير مالم يكن يفعله كبار أغنيائهم وكبار كرمائهم، فاندفع بعضهم يحمل إليها الطعام سراً، فها هو حكيم بن حزام بن خويلد ابن أخيها يحمل إليها القمح، ولم تكن رضي الله عنها تستأثر بالطعام الذي يرسل إليها وإنما كانت توزعه على جميع من في الشعب ولاتنال منه إلا أقل من أي فرد منهم، ولقد أثرت فيها هذه المعاناة وهذا الحصار والخوف على رسول الله، أثر هذا كله في صحتها لكنها كانت تتماسك حرصاً على موقف الرسول الحبيب.

وخرج المسلمون من الحصار وهم أمضى عزيمة وأشد قوة لم يزدهم الحصار إلا إيماناً وثباتاً.

ستظل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها رمزاً حياً في سجل المرأة المسلمة الصالحة القادرة على صناعة مجتمعاً واعياً مستقيماً وستبقى على مر العصور القدوة الحسنة التي يجب على كل امرأة أن تتبع خطاها، لقد وقفت السيدة خديجة حياتها، للعطاء الكامل، وخطت بعقيدتها الثابتة طريق الصواب لبنات جنسها، في وقت كانت البشرية لاتعي حقيقة وجود المرأة وقبل أن يتفتح العقل الإنساني.

فها هي قد اكتنفت السعادة حياتها على رغم المصاعب والعقبات التي لاقتها، فكانت تذللها بقلب مطمئن بالإيمان حتى سجلها التاريخ بأحرف من نور، بعد أن لامس الإسلام قلبها وهداها الباري إلى طريق السعادة الأبدية.

المبحث الثالث:

عائشة بنت أبي بكر

الفقيهة المحدثة الشاعرة الطبيبة حبيبة رسول الله (ﷺ) نموذج للمرأة المسلمة الفقهية ذات الشخصية المستقلة، المرأة التي نقلت علم رسول الله إلى الأمة، فعلمت العلماء، وفقهت الفقهاء، وكان فقهها النور الذي هدى العلماء إلى معالم الهدى النبوي الشريف، حتى الآن لم تتم دراسة منهج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كصاحبة مدرسة فقهية متكاملة الأركان، مدرسة نهل من معينها السلس أئمة الإسلام وفقهاؤه واصحاب المذاهب الفقهية الأربعة والعلماء والدعاه منذ سطوع نور الإسلام وحتى الآن.

ولو كان بعض الباحثين قد أهتم بفقه أم المؤمنين لذكرت عبر العصور كصاحبة مدرسة فقهية ومذهب سبق أصحاب المذاهب المعروفة ولربما قد سمى باسمها.

فالصديقة بنت الصديق كانت تعلي من شأن النص القرآني، وتوضح ما خفي من أسرار معاني الحديث وتستنكر إخراج الحديث من سياقه الذي قيل فيه، وكانت تأخذ بالرأي والإجتهاد فيما لانص فيه، وتعتبر التيسير هو الأساس في كل ماله علاقة بتعاليم الإسلام.

لقد قدمت أم المؤمنين عائشة أفضل نموذج لما ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة من استقلال الشخصية والنضج العقلي والوجداني والقدرة على تحصيل العلم وتبليغه، فصنعت لنا مجتمعاً ملأته بالعلم النافع والفكر الثاقب، فعاشت حياتها في كنف الإسلام وفي خدمة زوجها النبي الإمام (ﷺ).

كانت عائشة رضي الله عنها امرأة ذات علم ورأي وفقه، فكان الصحابة رضوان الله عليهم يصفونها قائلين: كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة، ولو جمع علم الناس ثم علم أزواج النبي (ﷺ) لكانت عاشئة أوسعهم علماً".

يقول عروة بن الزبير "ما رأيت أحداً أعلم بالحلال والحرام والعلم والشعر والطب من عائشة".

وقال الأحنف "سمعت خطبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، الخلفاء هلم جرا، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فم عائشة رضي الله عنها".

وقد سأل عمرو بن العاص- رسول الله: أي الناس أحب إليك؟ قال "عائشة" قال فمن الرجال؟ قال "أبوها"؟[٥٧]

فتميزت عائشة رضي الله عنها بجملة خصائص أثرت في شخصيتها لتكون قادرة على صناعة مجتمعاً، فتقدمت نحو هدفها، تقدم الأسد المغوار فصنعت لنا مجتمعاً نشر العلم في أرجاء العالم، ومن هذه الخصائص:

١- لم يتزوج رسول الله (ﷺ) بكراً سواها.

٢- لم ينزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها.

٣- لم يكن في أزواجه أحب إليه منها.

٤- أتاه الملك بها في المنام في سرقة من حرير مرتيين أو ثلاثاً يقول له هذه زوجتك، فتزوجها بوحي الله وأمر الله.

---

(٥٧) صحيح: البخاري (٣٤٩٥).

٥- أنها كان لها في القسم يومان، يومها ويوم سودة، حين وهبتها ذلك تقرباً لرسول الله(ﷺ).

٦- أنه مات في يومها وفي بيتها، وبين سحرها ونحرها (ﷺ)، وجمع إليه بين ريقة وريقها في آخر ساعة من ساعات الدنيا له عليه الصلاة والسلام وأول ساعة من ساعات الأخرة ثم دفن في بيتها.

٧- أنها أعلم نساء النبي (ﷺ) بل هي أعلم نساء الأمة على الإطلاق بلانزاع في ذلك بين أهل العلم المعتبرين.

فكانت عائشة رضي الله عنها طراز نادر او فريد، فقد كان الرجال من أصحاب رسول الله (ﷺ) إذا أشكل عليهم الأمر وأعجزتهم المسألة رجعوا إلى عائشة رضي الله عنها فأخبرتهم حكم وخبر رسول الله (ﷺ) فيها، لذلك قال الذهبي رحمه الله: "أفقه نساء الأمة على الإطلاق".

وذكر أن مسند عائشة من الأحاديث يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث، اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين حديثاً، ولايوجد في النساء من هي أكثر رواية لحديث رسول الله (ﷺ) من عائشة.

لم يكن نساء النبي (ﷺ) بالعدد الكثير من النساء عبثا، وإنما كان ليطلعن على مالا يطلع عليه إلا امرأة من زوجها في شأن الأمور الدقيقة، فينقلن هذا العلم والأحكام الشرعية المتعلقة بأخص خصائص ما بين الرجل وزوجته لنساء الأمة ورجالها على حد سواء. ولذلك قال الذهبي رحمه الله "لا أعلم في أمة محمد في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها".

وقال الزهري "لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواجه وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل".

وقال عطاء بن أبي رباح "كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة". تأملي رحمك الله في هذه الجملة الأخيرة، بل تأملي النص كله "كانت أفقه الناس، وأعلم الناس..." فالفقه غير العلم، فالعلم حفظ، والفقه استنباط فقد جمعت بين الأمرين معاً "وأحسن الناس رأياً في العامة" أي أنها تعرف أمور الناس ومجريات الحياة وماينبغي أن يكون من التوجيه وكيف تكون هذه الأساليب ليس كشأن بعض النساء اليوم يهرفن بما لايعرفن.

ورد في مسند أحمد أن عائشة رضي الله عنها استدعت قاص أهل مكة "الذي كان يقص لهم القصص ويعظهم بالمواعظ وقالت له: لتعاهدني أو لأقاطعنك، فقال علام يا أم المومنين؟ قالت "أن لاتمل الناس وأن لاتقنطهم، وإذا حدثتهم فحدثهم يعني يوماً بعد يوم"(٥٨)

أي لاتمهم بالحديث وطوله وتكراره، ولاتقنطهم بتأييسهم من رحمة الله، وإكثار الخوف عليهم دون أن تفتح لهم باب الرجاء وقال عروة "صحبت عائشة رضي الله عنهما فما رأيت أحداً قط كان أعلم بأية نزلت، ولابفريضة ولابسنة ولابشعر ولا أروى له، ولابيوم من أيام العرب ولابنسب، ولا بقضاء ولايطب منها".

فقد كانت تعرف الأنساب ولاغرو في ذلك فهي ابنة نسابه قريش أبي بكر رضي الله عنه، وكونها تعلم علم القرآن والسنة والفقه لاغرو في ذلك.

لذلك قال لها عروة: يا خالة الطب من أين علمتيه؟!.

- عرفنا أنك علمتي الفقه والأحكام من رسول الله (ﷺ)، والنسب من أبي بكر، والشعر من حفظ، لكن الطب من أين لك هذا الطب؟

---

(٥٨) مسند أحمد بسند صحيح.

فقالت "كنت أمرض فينعت لي الشئ، ويمرض المريض، فينعت له، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه فكانت رضي الله عنها طبيبة قلوب وطبيبة أبدان، فهذا يدل على الفطنة ويدل على أن اهتماماتها لم تكن اهتمامات سطحية كحال نساءنا اليوم، فإن بعض النساء عندهن فطنة وعندهن ذكاء وعندهن سرعة حفظ ولكنهن موجهات توجيهات غير سليمة.

فتجد إحداهن مثلاً عندها فطنة بأن تمزج الموديلات في الملابس فتخلط بين هذا وذاك، وتحفظ هذا وهذا وتعرف أن هذا طراز قديم وهذا طراز حديث، بينما عائشة رضي الله عنها كانت لها أذن واعية، وقلب مستقل لكل ما فيه منفعة في هذه الدنيا والدين على وجه الخصوص، فأخرجت لنا جيلاً وصنعت لنا مجتمعاً بفضل الله ثم بفضلها وبفضل أخواتها المؤمنات وبفضل رجالهم، صنعوا لنا جيلاً كان صمتهم فكراً وكلامهم ذكراً، اصحاب قلوب نقية سليمة، قلوب عماليق جابو الشرق والغرب بعلمهم، فبعد أن كانوا رعاة للغنم أصبحوا قادة وسادة للأمم، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

المبحث الرابع :

نسيبة بنت كعب

الصابرة أم الشهيد، بطلة اليمامة، أم المحاربين، إنها بنسيبة بنت كعب الأنصارية اسم قد لايعرفه الكثير ولكنها إحدى أشهر النساء المسلمات على مر العصور، فهي إحدى الصحابيات اللاتي شهدن الكثير من الغزوات مع الرسول (ﷺ)، ليس هذا فحسب بل إنها أول محامية في الإسلام، وذلك عندما ذهبت للنبي (ﷺ) وسألته لماذا تختص جميع آيات القرآن بالرجال ولاتذكر النساء؟ حتى أن صحيفة (هافتجتون بوست الأمريكية)

- وضعتها على رأس قائمة أكثر عشر نسوة مسلمات وجب معرفتهن جيداً، وأوردت الصحيفة ما قالت الصحابية الجليلة للرسول (ﷺ) "ما أرى كل شئ إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشئ؟".

فنزلت آية "إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً" (الأحزاب: ٣٥).

وجاءت هذه الأية للتأكيد على المساواة بين الرجل والمرأة. فهي واحدة من الصحابيات الجليلات اللواتي اتخذن قدوة حسنة وأسوة صالحة وممن يضرب بهن المثل في التضحية والإيثار، وممن وضعن اللبنة الأولى في قاعدة المجتمع المسلم المثالي، فلو ذكرنا الزوجات الوفيات كانت هي في المقدمة، وإن تحدثنا عن السبق إلى الإيمان كانت من الأوائل، وإذا

تحدثنا عن أهل العبادة والطاعة لله عز وجل وجدتها عابدة قانتة، وإذا سألت عن العلم والحديث النبوي وجدتها راوية متقنة لحديث رسول الله (ﷺ)، فأي امرأة هذه التي حازت كل خصال الشرف؟!

وصفها أبو نعيم في حلية الأولياء فقال "أم عمارة المبايعة بالعقبة، كانت ذا جد واجتهاد ونسك واعتماد".

وترجم لها الذهبي في سير أعلام النبلاء فقال "أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية ابن عوف بن مبذول...، الفاضلة الأنصارية الخزرجية المازنية المدنية".

نشأت أم عمارة في أسرة عُرفت بالمكارم وممن أسهمت في خدمة الإسلام وكان لها النصيب الأكبر في صناعة المجتمع المسلم.

شهدت أم عمارة ليلة العقبة وأحداً والحديبية ويوم حنين ويوم اليمامة، وجرحت يوم أحد اثنى عشر جرحاً، حتى قال عنهما رسول الله يوم أحد "لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان".[٥٩]

فهذه الصحابية احتلت مكاناً عليّاً في مقام الصبر فقد قتل ابنها فاحتسبته صابرة عند الله راضية.

وتروى لنا كيف كانت بيعتها لرسول الله (ﷺ) يوم العقبة، فتقول "كانت الرجال تصفق على يدي رسول الله (ﷺ) ليلة العقبة، والعباس عم النبي (ﷺ) أخذ بيد رسول الله (ﷺ) فلما بقيت أنا وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي السلمية نادى زوجي غزية بن عمرو: يارسول الله

(٥٩) سير أعلام النبلاء.

هاتان امرأتان حضرتا معنا يبايعنك فقال (ﷺ) "قد بايعتهما على مابايعتكم عليه، إني لااصافح النساء".[٦٠]

وفي معركة اليمامة استأذنت أم عمارة رضي الله عنها من أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخروج مع من خرج لقتال مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة، فأذن لها بعد أن أوصى خالد بن الوليد رضي الله عنه بها خيراً، وكان عمرها ءانذاك قد زاد عن الستين، ولكن لم تضعف عزيمتها، وقد جرحت حينئذ أحد عشر جرحاً، وقطعت يدها، ولكنها لم تكترث لما اصابها وعندما قتل ابنها عبد الله مسيلمة الكذاب[٦١] سجدت لله شكراً أن خلصهم من مسيلمة وكفره وكذبه وعلى انتهاء هذه الفتنة العظيمة؛ وظلت أم عمارة رضي الله عنها تحظي بالمكانة اللائقة في حياة الخلفاء الراشدين، فكان أبوبكر رضي الله عنه يأتيها ويسأل عنها، وكذلك سيدنا عمر رضي الله عنه عرف مكانتها، وتشير المصادر أن وفاة أم عمارة رضي الله عنها كانت في مطلع خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة الثالثة للهجرة بعد أن عاشت حياة معطاءة حافلة بالتضحيات لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى حتى قال عنها النبي (ﷺ) يوم أحد ما التفت يوم أحد يميناً أو شمالاً إلا

(٦٠) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٤١٤/٤١٥).

(٦١) وبعض الروايات صرحت بأن وحشي بن حرب هو الذي قتل مسلمة.

وأراها تقاتل دوني".[٦٢] كما دعى لها ولأهلها (ﷺ) فقال "اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة".[٦٣]

نسأل الله أن يجمعنا بها في الجنة مع النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

(٦٢) سير أعلام النبلاء.

(٦٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٤١٤/٤١٥)

المبحث الخامس:

فاطمة الفهرية

أم البنين، صاحبة أقدم جامعة في العالم، فاطمة بنت محمد الفهرية القرشية هي امرأة مسلمة عربية من ذرية عقبة بن نافع الفهري القرشي فاتح تونس ومؤسس مدينة القيروان وهي شخصية تاريخية خالدة في ذاكرة العالم والتاريخ المغربي، نزحت فاطمة الفهرية وهي فتاة صغيرة مع العرب النازحين من مدينة القيروان إلى أقصى المغرب ونزلت مع أهل بيتها في عدوة القرويين زمن حكم إدريس الثاني، حتى تزوجت وطاب لها المقام هناك، أصاب أهلها وزوجها الثراء بعد كد وتعب واجتهاد وعمل، ولم يمض زمن طويل حتى توفى والدها وزوجها ثم مات أخ لها فورثت عنهم مالاً كثيراً شاركتها فيه أخت لها واسمها مريم بنت محمد الفهري التي كانت تكنى بأم القاسم كان والدها ضمن المهاجرين إلى فارس، رجل عربي من القيروان اسمه محمد بن عبد الله الفهري، كان ذا مال عريض وثروة طائلة فأحسن تربية بنتيه واعتنى بهما حتى كبرتا، فلما مات ورثته ابنتاه فسخرت فاطمة ما ورثته في صناعة مجتمعها شأنها شأن العظيمات في كل زمان ومكان، لم تسخر مالها في اللهو واللعب والزينة وإنما عمدت أول ما عمدت إلى مسجد القرويين فأعادت بناءه، في عهد دولة الأدارسة في رمضان سنة ٢٤٥ من الهجرة وضاعفت حجمه بشراء الحقل المحيط به وضمت أرضه إلى المسجد وبذلت مالاً جسيماً برغبة صادقة لأنها تعلم يقيناً أن بداية صنع المجتمعات تبدأ من المساجد فما جُعلت المساجد إلا لبناء الساجد.

فاكتمل بناء المسجد في صورة بهية وحلية رصينة، وظلت صائمة محتبسة إلى أن انتهت أعمال البناء وصلت في المسجد شكراً لله.

حتى قال عنها ابن خلدون "فكأنما نهت عزائم الملوك بعدها وهذا فضل يؤتيه لمن يشاء من عباده الصالحين فسبحانه وتعالى إذا أراد لأمة الرقي والرفعة وأذن لها بالسعادة الغامرة أيقظ من بين أفرادها رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً أيقظ فيهم وجداناً شريفاً وشعوراً عالياً يدفعهم للقيام بصالح الأعمال وأشرفها....."

وكانت الطريق التي سلكتها فاطمة في بناء المسجد أنها التزمت الا تأخذ التراب وغيره من مادة البناء إلا من الأرض نفسها التي اشترتها دون غيرها مما هو خارج عن مساحتها، فحفرت كهوفاً في أعماقها وجعلت تستخرج الرمل الأصفر الجيد والحجر الكذان والجص وتبنى به، فكما كانت خبيرة في صناعة المجتمعات، كانت أيضاً خبيرة عالمة بأمور البناء وأصول التشييد لما أتصفت به من مهارة وحذق، فبدأ واضحاً شكل المسجد في أتم رونق وأزهى صورة وأجمل حال، ومع أول أيام البناء أصرت على بدء الصوم ونذرت الا تفطر يوماً حتى ينتهي العمل فيه، وظلت صائمة إلى أن انتهت أعمال البناء وصلت في المسجد شكرً لله الذي وفقها لبناء هذا الصرح الذي عرف بمسجد القرويين.

وبعد بناء المسجد قام العلماء بإنشاء حلقات لهم فيه يا سبحان الله، امرأة وضعت حجر الأساس في قواعد مجتمعها فانطلق الرجال من بعدها يكملون مابدأت، ألم أقل لك أن المرأة هي صانعة المجتمع.

كان يجتمع حول العلماء العديد من طلاب العلم، وبفضل الاهتمام الفائق بالجامع من قبل حكام المدينة المختلفين تحولت "فاس" إلى مركز علمي ينافس مراكز علمية ذائعة الصيت كقرطبة وبغداد.

وانتقل المسجد من مرحلة الجامع إلى مرحلة البداية الجامعية في عهد دولة المرابطين، لأن كثير من العلماء اتخذ المسجد مقراً لدروسهم.
وفي عصر دولة بني مرين دخل مسجد القرويين مرحلة الجامعة الحقيقية، فبنيت حوله العديد من المدارس.

- وعزز الجامع بالكراسي العلمية والخزانات. وكان الطلاب هم الذين يختارون الأستاذ الذي يرغبون في التعلم عنده حسب اختصاصه في مادة أو أكثر، فيجلس الأستاذ على كرسيه وهو يستند بظهره إلى سارية من سواري المسجد والطلاب في حلقات حوله؛ فأصبح جامع القرويين والجامعة العلمية الملحقة به مركزاً للنشاط الفكري والثقافي والديني قرابة الألف سنة.

- درس فيها الفقيه المالكي أبو عمران الفاسي، وكتب فيها ابن آجروم كتابة "الأجرومية" الذي يعتبر من أهم كتب النحو العربية.

وحسب موسوعة (جينيس) للأرقام القياسية فإن مسجد القرويين هو أقدم جامعة في العالم ومازالت تدرس حتى اليوم.
وكل ذلك بفضل امرأة علمت دورها وما ينبغى عليها تجاه أمتها ومجتمعها فسخرت ثروتها، ووظفت طاقتها لتضع أول لبنة في قاعدة مجتمعها فبفضل الله ثم فضلها أخرجت لنا مجتمعاً متكاملاً مستقييماً عالماً، خرج من بين أفراده من نبغ في الفقه والتفسير والحديث والطب والفلسفة وغير ذلك، ولاتعجب إذا علمت أن كل هؤلاء من صناعة امرأة.

المبحث السادس:

أم السعد

أفضل نساء العالم ديناً وخلقاً في عصرها، أشهر امرأة معاصرة في العالم في قراءات القرآن الكريم، الحافظة المحفظة، المتقنة المعمرة، فهي المرأة الوحيدة التي تخصصت في القراءات العشر، وظلت طوال نصف قرن تمنح إجازاتها في القراءات العشر، إنها أم السعد محمد علي نجم، ولدت في ١٩٢٥/٧/١١ في قرية تلا بمحافظة المنوفية شمال القاهرة.

داهم المرض عينيها وهي لم تتجاوز العام الأول من عمرها، واتجه أهلها للعلاج الشعبي بالكحل والزيوت بغير علم حتى فقدت بصرها بالكلية. وكعادة أهل الريف مع العميان نذرها أهلها لخدمة القرآن الكريم حتى حفظت القرآن في مدرسة "حسن صبح" بالإسكندرية في الخامسة عشر، وعاشت أم السعد بحارة الشمرلي بحي بحري العريق بالإسكندرية.

أتمت أم السعد حفظ القرآن الكريم وهي في الخامسة عشر من عمرها، وحينها ذهبت إلى الشيخة نفسية بنت أبو العلا شيخة أهل زمانها لتطلب منها تعلم القراءات العشر، فاشترطت عليها شرطاً عجيباً وهو: ألا تتزوج أبداً، فقد كانت الشيخة نفسية ترفض بشدة تعليم البنات، لأنهن يتزوجن وينشغلن فيهملن القرآن الكريم، وقد وافقت أم السعد على شرط شيختها التي كانت معروفة بصرامتها وقسوتها على النساء ككل اللواتي لايصلحن في رأيها- لهذه المهمة الشريفة! ومما شجع أم

السعد على ذلك أن "نفيسة" نفسها لم تتزوج رغم كثرة من طلبوها للزواج من الأكابر، وماتت وهي بكر في الثمانين انقطاعاً للقرآن الكريم.
أتمت أم السعد مهمتها الشريفة وحصلت من شيختها نفيسة على إجازات في القراءات العشر وهي في الثالثة والعشرين من عمرها.
تقول أم السعد عن حفظها للقرآن الكريم "ستون عاماً من حفظ القرآن وقراءته ومراجعته جعلتني لا أنسى فيه شيئاً، فأنا أتذكر كل أية وأعرف سورتها وجزأها وما تتشابه فيه مع غيرها وكيفية قراءتها بكل القراءات..، أشعر أنني أحفظ القرآن كإسمي تماماً لا أتخيل أن أنسى منه حرفاً أو أخطئ فيه، فأنا لا أعرف أي شئ آخر غير القرآن والقراءات...، لم أدرس علماً أوأسمع درساً أوأحفظ شيئا غير القرآن الكريم ومتونه في علوم القراءات والتجويد، وغير ذلك لا أعرف شيئاً آخر.
هنيئا لكِ والله فمن تعلم القرآن علمه القرآن كل شيء، فكيف لاتعرفي غيره؟
فلقد حفظتي وتعلمتي العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة؛ لقد تعلمتي ماهو شفاء لما في الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وتعلمتي الكلام الجزل، والقول الفصل الذي ليس بالهزل، تعلمتي السراج الذي لايخبو ضياءه، والشهاب الذي لايخمد نوره وسناؤه، والبحر الذي لايدرك غوره، تعلمتي الكلام الذي بهرت بلاغته العقول، والذي ظهرت فصاحته على كل مقول، تعلمتي الكلام الذي كل كلمة منه لها من نفسها طرب ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها غرة، ومن بهجتها درة، تعلمتي القول الذي لاحت عليه بهجة القدرة، ونزل ممن له الأمر فله على كل كلام سلطان وإمرة،

تعلمتي القول الذي أبهر تمكن فواصله، وحسن ارتباط أواخره بأوله، وبديع إشاراته، وعجيب انتقالاته، من قصص باهرة إلى مواعظ زاجرة، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة، ومواقع تعجب واعتبار، ومواطن تنزيه واستغفار، تعلمتي الكلام الذي إن كان ترجيه بسط، وإن كان تخويفاً قبض، وإن كان وعداً ابهج، وإن كان وعيداً أزعج، وإن كان دعوة جذب، وإن كان ترغيباً شوق، فسبحان من سلكه ينابيع في قلبك وصرفه بأبدع معنى وأعذب اسلوب، إذ يستقصي معانيه فهم الخلق، ولايحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق، فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره، واصطفاه للتذكير به وتذكره، فهو يرتع منه في رياض ويكرع منه في حياض، يهذب النفوس ويزكيها، ويقوم الأخلاق ويعلها، يقود من اتبعه إلى سعادة الدارين وينجيه من شقاوة الحياتين "فمن اتبع هداي فلايضل ولايشقى" "ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا" (طه ١٢٤)

هنيئا لك والله، هنيئا لك ياصانعة العلماء، كانت أم السعد رضي الله عنها، بينها وبين النبي (ﷺ) برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية ٢٧ راوياً، تبدأ بها وتنتهي بالنبي الأكرم (ﷺ) الذي تلقى عن جبريل عن رب العالمين، فهل هناك شرف أعظم من هذا الشرف، والله إني لأشعر بالخجل الشديد وأنا اتحدث عن شيخة أهل زمانها رجالاً ونساءًا، فما لمثلي أن يتحدث لمثلها. فلقد تردد على أم السعد لحفظ القران ونيل إجازات القراءات صنوف شتى من جميع الأعمار، والتخصصات، والمستويات الاجتماعية والعلمية، كبار وصغار، رجال ونساء، مهندسون وأطباء، محامون ومدرسون وأساتذة جامعات وطلاب في المدارس الثانوية والجامعات، وهى تخصص لكل طالب وقتا لايتجاوز

ساعة في اليوم يقرأ عليها الطالب مايحفظه فتصحح له قراءته جزءًا جزءًا حتى يختم القران بإحدى القراءات، وكلما انتهى أحدهم من قراءة منحته إجازة مكتوبة ومختومة بخاتمها لتؤكد فيها أن هذا الطالب (خادم القرآن) قرأ عليها القرآن كاملاً صحيحاً دقيقاً، وفق القراءة التي تمنحه إجازتها.

تقول أم السعد عن نفسها بوجه يعلوه الرضا "من فضل ربي أن كل من نال إجازة في القرآن من الاسكندرية بأي قراءة إما أن يكون قد حصل عليها منى مباشرة أومن أحد الذين منحتهم إجازة"، وتؤكد اعتزازها بأنها السيدة الوحيدة – في حدود علمها- التي يسافر إليها القراء وحفظة القرآن من أجل الحصول على إجازة في القراءات العشر، وكان أكثر مايسعدها أن مئات الإجازات التي منحتها في القراءات العشرة يبدأ سندها – تسلسل الحفاظ – بإسمها ثم اسم شيختها نفيسة ليمتد عبر مئات الحفاظ وعلماء القراءات إلى أن ينتهي بالرسول المصطفى ﷺ وتقول عن تلاميذها "أتذكر كل واحد منهم، هناك من أعطيته إجازة بقراءة واحدة، وهناك – وهم قليلون – من أعطيته إجازات بالقراءات العشر مختومة بختمي الخاص الذي احتفظ به معي دائما ، ولا اسلمه لأحد مهما كانت ثقتي فيه".

ومن مشاهير من منحتهم الإجازة القاريء الطبيب أحمد نعينع الذي قرأ عليها وأخذ عنها، وكذلك فضيلة الشيخ مفتاح السلطني، وكذا عدد من أساتذة وشيوخ معهد القراءات بالاسكندرية، والذين لايعطون إجازة في حفظ القرآن إلا ويضعون اسمها في أول السند المتصل إلى النبي (ﷺ) واستضافها أحد تلاميذها سنة كاملة في الأراضي الحجازية وهناك منحت إجازات في القراءات المختلفة لعشرات الحفاظ من كل البلاد

الاسلامية، السعودية، باكستان، السودان، فلسطين، لبنان، تشاد، أفغانستان.

توفيت أم السعد قدس الله روحها في فجر يوم السادس عشر من رمضان من العام ١٤٢٧هـ ، الموافق ٢٠٠٦/١٠/٩ ، عن عمر يناهز واحد وثمانين عاماً قضت معظمهم في خدمة الإسلام والمسلمين، ولا أقول عنها أنها صنعت لنا مجتمعاً بل لا أكون مغالياً إن قولت أنها وضعت لبنة الأساس في قاعدة أمة فوالله لاسبيل للنهوض بأمتنا إلا إذا عدنا إلى هذا القرآن الذي حول العرب من رعاة للغنم إلى قادة للأمم.

هذه بعض النماذج من المؤمنات الصالحات الواعيات اللواتي كن حجر أساس في مجتمعاتهن؛ والأمة مليئة بأمثالهن، وعصرنا هذا ملئ أيضا بالمؤمنات ولكنهن بحاجة إلى أن يجدن من ينفض عنهن غبار الجهل لينطلقن من جديد من ذات المنطلق الذي انطلقت منه الصالحات من قبلهن حتى يصنعن لنا مجتمعاً يليق بديننا وقرآننا.

نسأل الله أن يرد النساء خاصة والأمة عامة إلى الحق رداً جميلاً.

المبحث السابع:

المصرية صانعة مجتمع بفطرتها

إن المرأة المصرية هى صانعة للمجتمعات بفطرتها ولكنها تحتاج إلى توجيه بسيط.

فلماذا اختار ابراهيم الخليل عليه السلام هاجر؟!

لماذا تركها في واد غير ذي زرع؟!

لماذا هاجر مع أنها كانت حاضنة لطفل في مرحلة الرضاعة؟!

ألم يكن من الأولى أن يأخذ السيدة سارة إلى هذا المكان؟ فهي لم تكن تنجب ولم تكن حاضنة وكانت قوية بما يكفي.

لماذا تتركنا هنا يانبي الله؟!

أهو أمر الله؟

نعم هو أمر الله.

إذًا فلن يضيعنا الله.

إذّا فهو أمر الله ... هو اختيار الله ... اختار الله المصرية لتلك المهمة.

ولكن لماذا المصرية؟!

إنه درس التاريخ ... إنها تعاليم الله .

- المصرية صابرة ... المصرية قوية ... المصرية ذات عزيمة وجلد
- المصرية رحمها خصب يأتي بأعظم الرجال "اسماعيل عليه السلام".
- المصرية رمز للحياة، تجعل الصحراء الجدباء التي لازرع فيها ولاماء تجعلها أم القرى ومقصد العبيد والأمراء.

- المصرية مؤمنة بربها، راضية بقضاءه، واثقة في علمه وحكمته. صدق ايمانها جعل رب البيت يجعل لها منسكاً خاصاً من مناسك الحج "الصفا والمروة" ويشرب العالمين ماءً عذباً من تحت قدم ولدها.

يشهد التاريخ أن معظم النساء في جميع أنحاء الأرض كن يستخدمن للمتعة فقط.

أما المصريات فتراهن مرفوعات الهامة رؤسهن تناطح السحاب، تجلس على عرش مصر بجوار ملكها، وأحياناً تجلس بعظمتها وحيدة على العرش محركة بإصبعها جيوشاً ومتحكمة بعقلها الفذ في مصائر البلاد والعباد بمنتهى الحكمة والقدرة- ونحن هنا ليس بصدد جواز ذلك من عدمه- عندما خرجت المصرية من بلدها مرتين مرة تزوجت خليل الرحمن وأنجبت إسماعيل عليه السلام، وصنعت أمة بأكملها وشرعت منسكاً من مناسك الحج.

والمرة الثانية خرجت مارية القبطية رضي الله عنها لتتزوج خير خلق الله، أحمد المصطفى عالي المقام فأنجبت له ولده الوحيد إبراهيم. ووضعت قدماً للمصريين في بيت النبوة، وإنه شرف لو تعلمون عظيم.

وعندما جلست المصرية على عرش مصر حكمت حتشبسوت الدولة المصرية ٢١ عاماً، جعلت مصر خلالها أعظم قوة عسكرية في العالم، ووصل الإقتصاد المصري إلى مستوى غير مسبوق، ويشهد على ذلك معبدها الذي يعتبر قبلة الباحثين عن عظمة مصر وعظيماتها.